مشكلات في معنى مفهوم الذاكرة وأصولها وترجمتها

أ. أحمد محمد جواد الحكيم
باحث أكاديمي عراقي

الذاكرة هي من ضمن المفاهيم الأساسية في علم النفس، التي انتشرت وشاعت في مجالات أخرى، وبين عامة الناس، مع أن معناها لم يكن كذلك في الأزمنة القديمة عند العرب، وهذا الأمر أدى إلى حصول غموض وإرباك وتعدد في معناها الحالي. فضلاً على ذلك حدث خلط وتداخل بينها وبين مفاهيم أخرى ذات صلة بها مثل التذكر، الذكرى، الاستدعاء، الاحتفاظ. لكننا لن نبحث في هذه الدراسة عن طبيعة عمل الذاكرة، ولا عن خصائصها وأمراضها ونحوها، إنما سنبين معنى كلمة "الذاكرة" الأصلي، وكيف تحوّلت، في عصرنا الحالي إلى معنى آخر. كما سنتعرض للاختلافات العديدة في تعريفاتها وموقعها في الدماغ، وأصنافها المتعددة، والمفارقات التي حصلت في أصول الكلمات الأجنبية: memory، memorize، remember، التي سنبين الخلط والتداخل في ترجمتها وترجمة غيرها من الكلمات المتصلة بها، إلى اللغة العربية.

أولاً: لا وجود لكلمة "ذاكرة" في معاجم اللغة العربية القديمة

من الغريب، أننا لا نجد كلمة "ذاكرة"، بصيغة مباشرة، في معاجم اللغة العربية القديمة، مثل: التهذيب، المحيط في اللغة، المحكم والمحيط الأعظم، مجمل اللغة، القاموس المحيط، العين، مقاييس اللغة، الصحاح، أساس البلاغة، العباب الزاخر واللباب الفاخر، المصباح المنير، لسان العرب، تاج العروس، جمهرة اللغة. عوضاً عن ذلك، وردت اشتقاقات عديدة من مادة الذكر، كما جاء في تاج العروس: يذكره، التَّذكار (بالفتح)، ذكرت، ذكَره، ذِكراً، ذُكراً، الذكرى (بالكسر)،

الذُّكْرَة، استذكره، التذكير، التذكرة، الاستذكار.

كذلك لا نجد كلمة "الذاكرة" في عدد من كتب التراث مثل: رسائل أخوان الصفا، تحصيل السعادة لأبي نصر الفارابي، مقدمة ابن خلدون، المقابسات.

لكنْ هناك عدد آخر من كتب التراث قد ذكرت هذه الكلمة مثل الشفاء لابن سينا وكشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، بحر الجواهر، الوافي بالوفيات، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، نزهة الخواطر وبهجة المسامع، أعيان العصر وأعوان النصر، نفح الطيب. كان هذا الواقع الأمرَ المثيرَ الأول. الثاني، أن القرآن الكريم، وهو سابق لتلك المؤلفات، قد أورد كلمة "ذاكرات"، في آيات منه. الأمر الثالث، أن كثيراً من الشعراء سواء الذين سبقوا مؤلفي الكتب السابقة أو معاصريهم أو الذين جاؤوا بعدهم، قد تضمنت قصائدهم كلمة الذاكرة، مثل: عمر بن أبي ربيعة، جرير، بشار بن برد، ابن الرومي، سبط ابن التعاويذي ابن نباته المصري. الأمر المثير الرابع، هو أن بعض معاجم اللغة العربية المعاصرة، لا تشير إلى كلمة الذاكرة، مثل: معجم متن اللغة، على حين معاجم معاصرة أخرى ذكرت هذه الكلمة لكن بمعنى جديد مثل: المعجم الكبير، محيط المحيط، معجم اللغة العربية المعاصرة، المنجد، المعجم المدرسي، المعجم الوسيط.

ثانياً: المعنى الأصلي لكلمة "ذاكرة"

إن كلمة "ذاكرة" وجمعها "ذاكرات" أو "ذواكر" التي وردت في كتابات قديمة، ذكرت معناه الأصلي أكثر معاجم اللغة العربية الحديثة، كما جاء في معجم اللغة العربية المعاصرة، على سبيل المثال: ذاكرة (مفرد)، صيغة المؤنث لفاعل ذَكَر.[1] وعن معنى ذكَرَ يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: ذَكَرْتُ الشيء، خلاف نسيته، ثم حُمِّل عليه الذِّكر باللسان.[2] كما شرح الجوهري في الصحاح معنى ذَكَرَ أيضاً بقوله: ذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني وبقلبي،

[1] أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج 1، عالم الكتب، القاهرة، 2008، ص 813.

[2] عبد السلام هارون، **معجم مقاييس اللغة** لأبن فارس، ج 2، دار الفكر، القاهرة، 1979، ص 358.

وتذكرته.[1] يوضح ذلك أكثر، الزبيدي في تاج العروس بقوله: ذَكَرتُ حديث كذا وكذا أي قلته له وليس من الذكر بعد النسيان... والذِّكر يقال لحضور الشي القلب أو القول. ولهذا قيل الذِّكر ذِكران ذِكرٌ بالقلب وذكرٌ اللسان.[2] مما تقدم، يكون معنى كلمة "ذاكرة" هو استحضار عقلي لشيء ما تقوم به الأنثى، بمعنى أنها غير ناسية، حافظة له في ذهنها وتستطيع استرجاعه متى شاءت أي لا يغيب الأمر عن ذهنها، هذا الاستحضار قد يكون في اللسان، أي التلفظ بالشيء وقوله، أو يكون إحضاره في الذهن فحسب، لكن دون التلفظ به. لابُدَّ من الإشارة، أنه من الصعوبة أحياناً الفصل بين حالتي الاستحضار المترابطتين السابقتين، لأن كلمة "ذاكرة" قد تأتي، مجردة، مبهمة، لا تُبِين بوضوح عن المراد من المعنى، هل هو ذهنيٌ فقط، أم باللسان أيضاً. من الأمثلة، على استعمال "ذاكرة" بمعناها الأصلي، هو ما ورد في القرآن الكريم، عن كلمتي "ذاكر" و"ذاكرة" بصيغة الجمع المعرّف للمذكر والمؤنث، بقوله تعالى:" وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمً " الأحزاب/35. فضلاً على ذلك فقد وردت كلمة "ذاكرة"، بمعنى امرأة غير ناسية أي تتذكر، في قول سبط ابن التعاويذي:

هَل أَنتِ يا لَمياءُ ذاكِرَةٌ عَلى شَحطِ النَوى عَهدَ الوَفِيِّ الذاكِرِ[3]

الشحط: الأثر.

أو قول جرير بذات المعنى:

هلْ أنتِ ذاكرةٌ عهداً على قدمٍ أُسقِيتِ مِنْ سَبَلِ الغُرّ المَباكِيرِ

السبل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل الأرض. الغر المباكير: السحب البيضاء.[4] المعنى ذاته جاء في قول ابن الرومي مادحاً الوزير إسماعيل بن بلبل، مستعملاً كلمة "ذواكر"

---

[1] عبد الغفور عطار، **الصحاح** للجوهري، مج 2، ط 3، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص 665.

[2] عبد الكريم العزباوي، **تاج العروس** للزبيدي، ج 11، وزارة الإعلام، الكويت، 1972، ص 376.

[3] د.س. مرجليوت، **ديوان سبط** بن التعاويذي، المقتطف، القاهرة، 1903، ص 166.

[4] كرم البستاني، **ديوان جرير**، دار بيروت، بيروت، 1986، ص 193.

جمعاً لذاكرة:

والنائبات لمن نسيت ذواكرٌ لكنهن لمن ذكرتَ نَواسِ[1]

النائبات: اللواتي يحملن المصائب.

وكمثال على كلمة "ذاكرة" بمعنى قائلة أي النطق باللسان لأشياء تعرفها الأنثى من الناس وتدركها، هو قول عمر بن أبي ربيعة مخاطباً محبوبته:

ألَمْ تعْلمي ماكنْتُ آليتُ فيكُمُ وأقسمتِ لاتحكين ذاكِرةً باسمي[2]

أو قول ابن نباته المصري:

ذاكراتٌ جميلَ صنعك عندي بقوافٍ بها الركائب تحدى[3]

وقد ذكر قسمٌ من العلماء العرب والمسلمين، مفهوم الذاكرة بمعناها الأصلي، أي غير ناسية، تتذكر، وهي وصف للنفس الإنسانية، كما جاء في كتاب الشفاء لابن سينا (توفي 427هـ): القوة الحافظة الذاكرة وهي قوة... تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني غير المحسوسة في المحسوسات الجزئية.[4] كذلك ذكرها الهروي (توفي 949هـ) في بحر الجواهر بقوله: الحافظة هي قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعارف فتذكرها ولذلك سميت ذاكرة أيضاً.[5] وأيضاً التهانوي (توفي 1158هـ) في الكشّاف بقوله عن الحافظة: عند الحكماء قوة تحفظ ما يدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها، ولذلك سميت ذاكرة أيضاً.[6]

---

[1] أحمد حسن بسج، **ديوان ابن الرومي**، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص 204.

[2] أحمد أكرم الطباع، **ديوان عمر بن أبي ربيعة**، دار القلم، بيروت، د.ت، ص 196.

[3] محمد القلقيلي، **ديوان ابن نباته المصري**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت، ص 149.

[4] ابن سينا، الشفاء، **الفن السادس**، المؤسسة الجامعية، بيروت، 1986، ص 46.

[5] محمد بن يوسف الهروي، **بحر الجواهر**، طبعة طهران، الهند، 1871، ص 109.

[6] محمد علي التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق رفيق العجم وعلي دحروج، مكتبة لبنان، بيروت، 1996، ص 610.

ثالثاً: تطور في المعنى الأصلي للذاكرة

بعد أن كانت الذاكرة تعني المرأة غير الناسية أو القائلة، تطوّر هذا المعنى ليشمل وصفاً للنفس البشرية عموما باعتبارها مؤنثة ومذكرة، من ناحية القدرات الذهنية في التذكر، إذ أصبح كبار العلماء يُوصفون كأشخاص ذوي ذاكرة قوية أو حادة أو حسنة، كون هذه المقدرة تعتبر علامة فارقة على التفوق في حفظ أكبر قدر من المعلومات وتذكرها، كما جاء في كتاب الوافي بالوفيات، عند وصف مُحيي الدين القرشي العدوي العمري: هو الإمام الفاضل البليغ المفوَّه الحافظ... يتوقد ذكاء وفطنة ويتلهب ويتحدر سيله ذاكرة وحفظاً ويتصبب.[1] كذلك في كتاب نزهة الخواطر وبهجة المسامع، في وصف عبد الله العمادي: وكان الشيخ عبد الله العمادي متفنناً في العلوم والآداب... قوي الذاكرة كثير المحفوظ، حسن المحاضرة، ناقداً للشعر والأدب.[2] وأيضاً، في كتاب عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، جاء وصفٌ للشيخ أبو نصر محمد بن الحسن الحرار الصوفي البغدادي الشاعر: له ديوان حسن، وكان جميل المعاشرة، حسن الذاكرة.[3]

رابعاً: تحوّل آخر في معنى كلمة "ذاكرة"

بعد أن تطوّر مفهوم الذاكرة إلى قوة استحضار للمعلومات تتعامل مع النفس البشرية عموماً، تحوّل مرة أخرى، وأصبح كأنه جهازٌ أو آلة لها وظيفة أخرى غير استحضار المعلومات، هي حفظ هذه المعلومات. لذلك انتشر مفهوم الذاكرة في الأوساط العلمية والأدبية وعامة الناس، ليشمل هذا المعنى الجديد، وابتعد كثيراً عن معناه الأصلي، وهو مخاطبة المفرد المؤنث فحسب.

---

[1] صلاح الدين الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 8، ط 2، اعتناء محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، 1982، ص 252.

[2] عبد الحي بن فخر الدين الحسني، **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**، دار ابن حزم، بيروت، 1999، ص 1297.

[3] بدر الدين محمود العيني، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، ج 2، تحقيق محمد أمين، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2010، ص 67.

على هذا الأساس شاعت تعبيرات جديدة، إضافة لتلك التي ذكرناها، تحمل وصفاً للذاكرة وخصائصها وأصنافها، مثل: ذاكرة عجيبة، ذاكرة ضعيفة، باقون في الذاكرة، إن لم تخني الذاكرة، بقي في ذاكرة الناس، مطبوع في الذاكرة، ذاكرة الشعوب لا تموت، فقدان الذاكرة، خلل في الذاكرة، قصور في الذاكرة، مدى الذاكرة. ثم قام علماء النفس ونحوهم بتصنيف الذاكرة إلى أنواع عديدة . كما أدخل الشعراء، في العصر الحديث، قسماً من أوصاف الذاكرة، كما يقول حافظ ابراهيم:

وَما غـالَـت قَريحَتَهُ اللَيالي وَلا خــانَـتــهُ ذاكِــرَةُ الـشَبــابِ[1]

أو أحمد شوقي:

أَو كَمَغلـوبٍ عَـلى ذاكِرَةٍ يَشتَكي مِن صِلَةِ الماضي انقِضابا

انقضابا: انقطاعاً.[2] ومع ذلك فإن المعنى الأصلي للذاكرة، لم يندثر، فقد ذكره معروف الرصافي بقوله:

متى تُبْدين منك له جُحُودا فـهــلاّ عُــدت ذاكــرةً عــهـودا[3]

ومن مظاهر تحول معنى الذاكرة القديم هو استعمالها في أحد مكونات أجهزة الحاسوب، إذ أصبحت تمثل وحدة مستقلة من مركبات الحاسوب، مسؤولة عن الخزن والاسترجاع.

خامساً: تعريفات متعددة متباينة للذاكرة

لم يتفق الباحثون على إيجاد تعريف محدد، أو حتى متقارب للذاكرة. لذلك تعددت التعريفات وتشابهت واختلفت حسب وجهة نظر صاحبها أو حسب المجال الذي استعملت فيه. كما وردت في معاجم اللغة وعلم النفس والفلسفة، فضلاً على الدراسات المتخصصة في هذه المجالات ونحوها، سواء كانت في اللغة العربية أم غيرها، التي يمكننا أن نحصرها بموضوعين أساسيين.

---

[1] أحمد أمين، **ديوان حافظ ابراهيم**، دار العودة، بيروت، 1996، ص 190.

[2] أحمد محمد الحوفي، **ديوان شوقي**، ج 1، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، 1977، ص 424.

[3] معروف الرصافي، **ديوان معروف الرصافي**، مراجعة مصطفى الغلاييني، مؤسسة هنداوي، القاهرة، 2014، ص 175.

أحدهما اعتبار الذاكرة عضواً أو أداةً أو جهازاً، والثاني اعتبار الذاكرة وظيفة أو نشاطاً أو قدرة.

1. الذاكرة: عضوٌ عقلي

كثيراً ما نجد تعريفات تصف الذاكرة بأنها عضو خاصّ في جسم الإنسان، غير أن تابعيته، ومعالمه وصورته مبهمة، غامضة، فهو قد يكون مستقلاً يعمل بمفرده، منفصلاً عن القدرات العقلية الأخرى، أو يكون جزءاً من الدماغ، أو هو حافظة أو مستودع أو وعاء أو مخزن أو صندوق لا علاقة له بما في داخله من معلومات. ومن التعريفات التي تدل على ذلك هو ما جاء في معجم المصطلحات التربوية والنفسية: ويعنى بها (أي الذاكرة) تخزين المعلومات أو الاحتفاظ بها بشكل يجعلها متاحة للاسترجاع أو تذكرها بالصورة نفسها التي خزنت بها.[1] وأيضاً ورد في المعجم الموسوعي في علم النفس، أن الذاكرة: الاحتفاظ بمعلومات الماضي مع القدرة على تذكرها أو استخدامها.[2] كما نجد هذه المعاني في النصوص الآتية: "كانت الذاكرة مستودع معارف المجتمع ومهاراته الموروثة كلها".[3] أو في النص الآتي: "فلكي نحل مسألة ما يجب أن يكون لدينا بعض المعرفة عن موضوعها ويجب أن نجمع ونستقي عناصر معلوماتنا السابقة الكامنة في أعماق الذاكرة".[4] أو في: "تتزع الذاكرة البشرية، مع تقدم الزمن، إلى تعديل المعلومات المخزونة لتأخذ الشكل الأفضل".[5] والنص الآتي يشير بوضوح أن الذاكرة هي مكان أو موقع: "إن الشيء الذي نتعلمه يتواجد أولاً في الإدراك أو المعرفة قبل أن ينتقل إلى الذاكرة... والإدراك في وقت من الأوقات يحدث أثرا فيترسب في الذاكرة".[6]

---

[1] حسن شحاته وزينب النجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2003، ص 188.

[2] نوربير سيلامي، **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ج3، ترجمة وجيه أسعد، وزارة الثقافة، دمشق،2001، ص 1126.

[3] جيفري هوسون وبراين ويلسون، **الرياضيات المدرسية في التسعينيات**، ترجمة خضر الأحمد وموفق دعبول، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1992، ص 40.

[4] ج. بوليا، **البحث عن الحل**، ط 2، ترجمة أحمد سليم سعيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 155.

[5] عبد المجيد نشواتي، **علم النفس التربوي**، ط 4، دار الفرقان، عمّان، 2003، ص 385.

[6] جورج إم غازدا وآخرون، **نظريات التعلم**، ج 1، عالم المعرفة، ع 70، المجلس الوطني، الكويت، 1983، ص 254.

2. الذاكرة: وظيفةً معرفية

الذاكرة، هنا، هي قوة من قوى العقل أو قدرة أو نشاط أو وظيفة أو عملية معرفية. الخلاف الذي يكمن بهذا المعنى هو عن عدد هذه الوظائف وطبيعتها، إذ قد تكون قدرة واحدة منفردة، أو سلسلة من النشاطات المعرفية. ومن التعريفات التي تعطي للذاكرة وظيفة واحدة، هي الاسترجاع، نذكر ما جاء في مجلة العلوم: الذاكرة إنها السيرورة* التي نعيد بها إلى عقولنا إحدى خبراتنا الواعية السابقة.[1] وفي الموسوعة العربية العالمية، نجد أن الذاكرة لها وظيفة واحدة هي التذكر كما في التعريف الآتي: الذاكرة القدرة على تذكّر شيء سبق تعلمه أو سبق اكتساب خبرة فيه.[2] لكن هناك من يعتقد أن للذاكرة وظيفة واحدة أيضاً لكن هذه المرة هي الاحتفاظ كما جاء في موسوعة علم النفس والتحليل النفسي: ذاكرة، إحدى الوظائف العقلية المختصة بالاحتفاظ بذكريات الفرد وما مر به من تجارب وما اكتسبه من خبرات وما تعلمه من معلومات.[3] ومن التعريفات التي تعتبر الذاكرة سلسلة من الوظائف نذكر منها، ما يخص عمليتين، هما الاحتفاظ والاسترجاع، التي نجدها في معظم معاجم اللغة العربية. فمثلاً في معجم اللغة العربية المعاصرة، نجد أن الذاكرة هي: قدرة النفس على الاحتفاظ بالتجارب والمعلومات السابقة في الذهن واستعادتها.[4] وفي المعجم الكبير، الذاكرة: قدرة الدماغ على الاحتفاظ بالتجارب السابقة واستعادتها.[5] كذلك نجد الشيء ذاته في قاموس بانكروفت الإنكليزي، أن الذاكرة: هي قدرة العقل على حفظ صور أو تفاصيل الأحداث أو الأشخاص في الماضي، وتذكرها.[6] أو في قاموس

---

* نحن لا نستسيغ كلمة "سيرورة" كونها ترجمةً للكلمة الإنكليزية process، إذ نفضل عوضاً عنها كلمات مثل: معالَجَة أو عملية. (المؤلف)

[1] لودوكس، **الانفعال والذاكرة**، مجلة العلوم، العددان 3/2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1999، ص 44.

[2] دائرة المعارف العالمية، الموسوعة العربية العالمية، ج 10، الرياض، 1996، ص 604.

[3] فرج عبد القادر وآخرون، موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993 ص 344.

[4] **معجم اللغة العربية المعاصرة**، مج 1، مصدر سابق، ص 813.

[5] مصطفى حجازي، **المعجم الكبير**، ج 8، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2008، ص 159.

[6] Bancroft, English Dictionary, London, 1966, p.211.

أكسفورد الذي يعرّف الذاكرة: أنها قوة احتفاظ الحقائق في العقل الواعي، ومن ثم القدرة على استرجاعها عند الحاجة.[1] أما كون الذاكرة تتكون من ثلاث عمليات، فقد جاء في كتاب علم النفس التربوي أن الذاكرة تتضمن ثلاث مراحل للمعالجة هي: مرحلة الترميز (encoding)، ومرحلة الاحتفاظ أو الخزن (storage)، ومرحلة الاستعادة أو التذكرة أو التذكر (retrieval).[2] الترميز أو التشفير، يعني تنظيم المعلومات. وكتاب عقول المستقبل بيَّن أن هناك أجزاءً ثلاثة يمكن أن ينقسم إليها نشاط الذاكرة هي: عمليات التعلم، ثم عملية التخزين، ثم عملية الاسترجاع أو الاستعادة.[3] وهناك من يرى أن الذاكرة مركبة من أربع عمليات أساسية، كما جاء في كتاب أسس علم النفس العام، هي: إرساخ الانطباعات (fixation)، الاستبقاء (retention)، الاستدعاء (recall)، التعرّف (recognition).[4] فضلاً على ما ذكرناه، هناك من الباحثين من يرى أن الذاكرة هي وظيفة وعضو مادي بذات الوقت، كما جاء في كتاب ما هي الشخصية: الذاكرة هي قدرة الإنسان على تذكر التجربة الشخصية والاجتماعية وحفظها وتشخيصها واستخدامها. والذاكرة هي مذخر ومستودع المعلومات الذي يقوم بتصنيعها واستحضارها.[5]

سادساً، الخلط بين مفهوم الذاكرة وبين التذكر والحافظة

نتيجة لغموض طبيعة مفهوم الذاكرة، والتعدد الواسع المتباين في تعريفاتها، فقد حدث خلط في المصطلحات وتداخل بين معاني الذاكرة، التي مرّت علينا، وكل من مفهومي التذكر والحافظة. فالتذكر (remembering) معناه، كما جاء في الكليات للكفوي هو: محاولة النفس استرجاع ما

---

[1] A.S.Hornby, Oxford Advance Learner's Dictionary, Oxford University Press, 1974, p.530.

[2] علم النفس التربوي ، مصدر سابق، ص 374.

[3] جون ج. تايلو، **عقول المستقبل**، ترجمة لطفي فطيم، عالم المعرفة، ع 92، المجلس الوطني، الكويت، 1985، ص 55.

[4] طلعت منصور وآخرون، **أسس علم النفس العام**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1984، ص 215.

[5] كيريلينكو وكورشونوفا، **ما هي الشخصية؟**، ترجمة موفق الدليمي، دار التقدم، موسكو، 1990، ص 214.

زال من المعلومات.[1] والتذكر في علم النفس هو: عملية عقلية بها يجري استرجاع شيء ما مُتعلَّم في وقت سابق.[2] والتذكر في الفلسفة، كما ذكرته ميري ورنوك في كتابها الذاكرة في الفلسفة والأدب: هو استظهار شيء تمت معرفته سابقاً. إنه مراجعة شيء ما وليست معرفته. إنه يشبه إعادة سرد وليس إجراء بحث.[3] إذن التذكر هنا يمثل وظيفة واحدة، هي استرجاع أو استعادة ما مضى من أحداث، وهذا يتداخل مع تعريف الذاكرة الذي بيّنّاهُ سابقاً أنها تمثل وظيفة واحدة. لكن هناك من يعتقد أن التذكر يتكون من وظيفتين أو عمليتين، كما ذكر فريدريك بل في كتابه طرق تدريس الرياضيات: التذكر هو القدرة على تخزين البيانات في العقل، واستدعاء البيانات من العقل.[4] وهذا أيضاً يتداخل مع أحد تعريفات الذاكرة التي تتكون من وظيفتين. فضلاً على ذلك، أن مايكل هاينز في كتابه القوى العقلية الحواس الخمس، يرى أن هناك أربع عمليات للتذكر فيقول: والحقيقة أن التذكر ليس عملية واحدة فقط بل إنه عدة عمليات مختلفة تتكامل كلها تحت هذا الاسم حيث يمكن تحليل التذكر إلى المراحل المنطقية التالية. أولاً: تحصيل المعلومات وحفظها (التحصيل)، ثانياً: الإبقاء عليها أو نسيانها (الوعي والنسيان)، ثالثاً: الاسترجاع (أو الاستدعاء)، رابعاً: التعرّف.[5] وهذا التعريف يتداخل أيضاً مع أحد تعريفات الذاكرة السابقة.

أما التداخل الآخر، فهو بين الذاكرة والحافظة، وسببه المعنى المشترك بينهما. فالحافظة في اللغة العربية هي مؤنث الحافظ، والحافظ اسم فاعل، المُوْكِل. وهي من حَفِظ. وحَفِظه: حرسه ومنعه من الضياع.[6] فهي إذن كالذاكرة من ناحية التخزين والاستبقاء ومنع الشيء من الضياع.

---

[1] أبو البقاء الكفوي، **الكليات**، القسم الأول، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة ، دمشق، 1975، ص 89.

[2] **أسس علم النفس العام**، مصدر سابق، ص 481.

[3] ميري ورنوك، **الذاكرة في الفلسفة والأدب**، ترجمة فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2007، ص 9.

[4] فريدرك بل، **طرق تدريس الرياضيات**، ج 2، ترجمة وليم عبيد وآخرون، الدار القومية، نيقوسيا، 1986، ص 68.

[5] مايكل هاينز، **القوى العقلية الحواس الخمس**، ترجمة عبد الرحمن الطيب، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان، 2009، ص 249.

[6] بطرس البستاني، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 176.

وعن تعريف الحافظة يقول الجرجاني: هي قوة... من شأنها حِفظ ما يدركه الوهم من المعاني الجزئية، فهي خزانة للوهم كالخيال للحس المشترك.[1] والكفوي في الكليات يقول عن الحفظ: هو استحكام المعقول في العقل.[2] إذن الحافظة، كالذاكرة من ناحية التخزين والاستبقاء. على هذا الأساس، فالذاكرة، في أحيان معينة، تُدعى حافظة، والحافظة تدعى ذاكرة، أي أنهما بهذه الحالة مترادفان، كما ورد ذلك في كتاب المنجد في المترادفات والمتجانسات.[3] يتضح ذلك أيضاً من العلاقة بين الذاكرة والحافظة، كما جاء في متن اللغة: أن الحافظة هي قوة الذاكرة.[4] وهناك أيضاً من أطلق على الحافظة اسم الذاكرة كما جاء في بحر الجواهر للهروي: الحافظة هي قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني فتذكرها لذلك سميت ذاكرة.[5] والشيء ذاته في الكشاف،[6] والمعجم الكبير،[7] والمعجم الوسيط.[8] لكننا ننجد الترادف واضحاً بين الذاكرة والحافظة، على سبيل المثال، في محيط المحيط من خلال تعريف كل منهما، فالذاكرة هي: قوة في الدماغ تذكر ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتحفظها ولذلك سميت بالحافظة.[9] وفي المعجم ذاته نجد تعريف الحافظة هي: قوة تحفظ ما تدركه القوة الوهمية من المعاني وتذكرها ولذلك سميت ذاكرة أيضاً.[10]

إن هذا الخلط بين الذاكرة والحافظة ناجم، من بعض نواحيه، عند وصف كل منهما بعمليتين

---

[1] علي بن محمد الجرجاني، **معجم التعريفات**، تحقيق محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، 2004، ص 72.

[2] أبو البقاء الكفوي، **الكليات**، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1998، ص 67.

[3] رفائيل نخلة اليسوعي، **المنجد في المترادفات والمتجانسات**، ط 3، دار المشرق، بيروت، 1989، ص 70.

[4] أحمد رضا، **متن اللغة**، مج 2، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958، ص 124.

[5] **بحر الجواهر**، مصدر سابق، ص 109.

[6] **كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مصدر سابق، ص 610.

[7] **المعجم الكبير**، ج 5، مصدر سابق، ص 490.

[8] ابراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ط 2، دار الدعوة، اسطنبول، 1989، ص 185.

[9] **محيط المحيط**، مصدر سابق، ص 309.

[10] المصدر السابق، ص 176.

منفصلتين، هما التذكر والحفظ. أضف إلى ذلك أن هذا الخلط، في الاسم والمعنى، لا نجده في الحياة العملية، إنما في معاجم اللغة فحسب.

سابعاً: خلافات عن تحديد موقع الذاكرة وأصنافها

من قضايا الخلاف المثيرة، في علم النفس وعلم الأعصاب، التي لم تَحْظَ باتفاق عام عليها، تحديد موقع الذاكرة في الدماغ أو المخ، بمعنى آخر مكان تخزين المعلومات والمعارف، هذه هي القضية الأولى. القضية الثانية، هي التباين الشديد في عدد الأقسام التي يجري، عادة، تقسيم الذاكرة إليها، فضلاً على اختلاف أسماء هذه الأقسام. القضية الأخيرة هي العلاقة غير المحددة بين عمل الذاكرة، كونها وحدة واحدة، وعمل أقسامها.

1. تحديد موقع الذاكرة

يقول مايكل هاينز في كتابه القوى العقلية الحواس الخمس: سؤالان حيّرا الفلاسفة والعلماء ومازالا حتى الآن ألا وهما: ما طبيعة الذاكرة؟ وأين تختزن الذكريات؟[1] وعند الإجابة عن هذا السؤال انبثق الخلاف من خلال وجهتي نظر مختلفتين. إحداهما تتجه نحو تحديد منطقة أو مناطق محددة في الدماغ. أما وجهة النظر الأخرى فترى أنه لا يوجد حصر لمكان الذاكرة، أي إنها منتشرة في كافة مناطق الدماغ. فالقدماء، كانوا يخصصون منطقة معينة للذاكرة في الدماغ. فمثلا يرى ابن سينا أن القوة الحافظة الذاكرة... في التجويف المؤخر من الدماغ.[2] والهروي في بحر الجواهر يقول إن محلها البطن الأخير من الدماغ.[3] والتهانوي في الكشاف يقول إن محلها البطن الأخير من الدماغ.[4] والجرجاني في التعريفات، يقول عن الحافظة ولب الذاكرة، إن محلها

---

[1] **القوى العقلية الحواس الخمس**، مصدر سابق، ص 255.

[2] **الشفاء**، ج 6، مصدر سابق، ص 46.

[3] **بحر الجواهر**، مصدر سابق، ص 109.

[4] **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مصدر سابق، ص 610.

التجويف الأخير من الدماغ.[1] كذلك في الزمن المعاصر، هناك من يحدد مكان الذاكرة، كما جاء، مثلاً، في موسوعة الثقافة العلمية: وفي الفص الصدغي إلى جوار منطقة السمع، يقع مركز الذاكرة،[2] أو كما يقول بطرس البستاني في محيط المحيط: في مؤخر الدماغ واستدلوا على ذلك بأن الإنسان إذا أراد أن يتذكر رفع رأسه مائلا به إلى الجهة الخلفية لتتنبه تلك القوة فيكون من ذلك أعون على تحصيل المطلوب.[3] إن مثل هذه المعلومات مُستخلصة، غالباً، من الخبرة والملاحظة. لكن الدراسات الحديثة، قد اختلفت في تحديد منطقة الذاكرة في الدماغ. إذ إن هناك وجهة نظر ترى أن للذاكرة موقعاً محدّداً في الدماغ، كما جاء في الموسوعة العربية العالمية: وقد أوضحت البحوث أن هذه التغيرات (عند تخزين الذكريات) يجري حدوثها في جزء دقيق من الدماغ يسمى الحُصين* وهو جزء صغير من قشرة المخ يقوم بتنظيم معظم الوظائف الرئيسية للدماغ قبل حل المشاكل وتعلم اللغات.[4] يؤكد ذلك ما جاء في كتاب الثقافات الثلاث أن: وجود الحُصين* (Hippocampus) في الفص الدماغي الصدغي (وهو قطاع في الدماغ مسؤول بشكل رئيسي عن عمليات الذاكرة، ويعتبر جزءاً من الجهاز العصبي الطرفي).[5]

لكن هناك وجهة نظر أخرى مغايرة ترى أن الذاكرة منتشرة في الدماغ بكماله، كما ذكرت كرستين تمبل في كتابها المخ البشري التي تعتقد أن جميع تلك التحديدات لموقع الذاكرة هي مجرد محاولات، فتقول: وقدُ أجرِيَ في هذا القرن (العشرين) كثير من الدراسات التي تُعنى على وجه

---

[1] **تعريفات الجرجاني**، مصدر سابق، ص 72.

[2] أنور محمود عبد الواحد، موسوعة الثقافة العلمية، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ت، ص 332.

[3] **محيط المحيط**، مصدر سابق، ص 309.

[4] **الموسوعة العربية العالمية**، مصدر سابق، ص 604.

* سميّ الحُصين بسبب التشابه مع حصان البحر أو فرس البحر. ويُدعى أيضاً، قرن آمون أو قُرين أمون. وآمون هو الإله المصري القديم الذي كان يُمثل برأس كبش. (المؤلف)

[5] جيروم كيغان، **الثقافات الثلاث**، ترجمة صديق محمد الجوهر، عالم المعرفة، ع 408، المجلس الوطني ، الكويت، 2014، ص 105.

التحديد باستكشاف وظائف الأجزاء في المخ، وإلى أي مدى يمكننا تحديد موضع وظيفة معينة في منطقة خالصة بالمخ. فهناك محاولات لتحديد موضع المكونات... التي تتراوح ما بين الذاكرة والتخطيط، إلى المهارات الأكثر خصوصية.[1] على حين يجزم لورون بوتي في كتابه الذاكرة أسرارها وآلياتها أنه لا توجد منطقة محددة للذاكرة، كما يقول: ولنصرح من الآن، بأنه لا توجد داخل الدماغ منطقة واحدة ووحيدة للذاكرة. ولدينا سببان لإقرار ذلك: أولاً، ليس هناك صنف واحد للذاكرة. ثانياً، إن كل صنف من أصناف الذاكرة ينبثق من عمل شبكة، أي من مجموع المناطق الدماغية.[2] وذكر المعجم الموسوعي في علم النفس رأياً متداخلاً بين وجهتي النظر السابقتين: وبينت أعمال علماء النفس الفيزيولوجيين أن ليس ثمة مركز للذاكرة، ولكن الذاكرة منوطة معاً ببعض المناطق المحددة من الدماغ، مثل الحُصين أو قرن آمون... وبكلية القشرة الدماغية... وذلك صحيح بالنسبة لذاكرة الأجل الطويل على وجه الخصوص. فكل الدماغ معني باستدعاء الذكريات، التي لا نعلم أين تُحفظ ولا كيف.[3]

2. أصناف الذاكرة وأسماؤها

من القضايا التي تثير الخلاف أيضاً، تقسيم الذاكرة إلى عدد غير ثابت، غير متساو من أقسام أو أصناف أو أنماط أو تفريعات أو أنظمة مختلفة، لا حصر لها، ينسبها الدارسون لهذا المفهوم، تبدأ من صنفين ثم تستمر إلى عدد كبير منها. ويجري تكوين هذه الأصناف، غالباً، حسب معايير يضعها الدارس بناءً على مدة الذاكرة أو طبيعتها أو استرجاعها للحالات الشعورية أو مراحل معالجتها للمعلومات أو غيرها. أضف إلى ذلك قضيةً أخرى ذات صلة بها، هي أن أسماء هذه الأصناف هي الأخرى مختلفة. لذلك سوف نذكر بعض هذه الأصناف. فمثلاً تُقسم الذاكرة إلى أربعة أنواع، كما جاء في معجم مصطلحات علم النفس: الذاكرة اللفظية، الذاكرة

[1] كرستين تمبل، **المخ البشري**، ترجمة عاطف أحمد، عالم المعرفة، ع 287، المجلس الوطني، الكويت، 2002، ص 30.

[2] لورون بوتي، **الذاكرة: أسرارها وآلياتها**، ترجمة عز الدين الخطابي، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2012، ص 8.

[3] **المعجم الموسوعي في علم النفس**، ج 3، مصدر سابق، ص 1128.

العقلية، ذاكرة الأشياء وبصورة خاصة الذاكرة البصرية والسمعية أو اللمسية إلخ، ذاكرة الحوادث.[1] وهناك تقسيمات نوعية عديدة للذاكرة، على سبيل المثال ما جاء في معجم علم النفس والتحليل النفسي: يمكن تقسيم الذاكرة إلى ذاكرات نوعية مثل ذاكرة الأسماء وذاكرة الأماكن وذاكرة الأرقام وذاكرة الأفكار وذاكرة الصور... إلخ.[2] وقد جاء أيضاً في كتاب الذاكرة أسرارها وآلياتها تسميات عديدة: وقد توصل الباحثون إلى التمييز بين أشكال أو أنظمة عديدة للذاكرة... من أبرزها، وليس كلها، الذاكرة ذات المدى القصير، وذات المدى الطويل، وذاكرة الاشتغال، والذاكرة المرحلية، والذاكرة الدلالية، وذاكرة السيرة الذاتية، والذاكرة المكانية، وذاكرة العادات، والذاكرة المعرفية، والذاكرة الصريحة والضمنية، والذاكرة التصريحية، والذاكرة الإجرائية... والذاكرة الحسية.[3] وفي مجلة العلوم، هناك: ذاكرة قصيرة المدى، ذاكرة طويلة المدى، الذاكرة الإيقونية* (iconic memory)، الذاكرة العاملة، الذاكرة العارضة** (episodic).[4] كذلك جاء في كتاب المخ البشري، العديد من التصنيفات، منها الذاكرة الشخصية (episodic)**، الذاكرة الدلالية

---

[1] منير وهبة الخازن، **معجم مصطلحات علم النفس**، دار النشر للجامعيين، بيروت، د.ت، ص 83.

[2] فرج عبد القادر طه وآخرون، **معجم علم النفس والتحليل النفسي**، دار النهضة العربية، بيروت، د.ت، ص 204.

[3] **الذاكرة: أسرارها وآلياتها**، مصدر سابق، ص 27.

* من المؤسف أن يتعذر على المترجمين والكتّاب أن يجدوا كلمة عربية تقابل المصطلح الأجنبي iconic. إذ لو رجعنا إلى القواميس الأجنبية التي تبحث عن أصول الكلمات، نجد أنها تعود إلى الكلمة الإغريقية eikonikos وهي من eikon التي تعني بالإنكليزية image وبالعربية صورة، صورة عقلية، انطباع ذهني، خيال، وهم. كما لاحظنا أن معظم كتب علم النفس والفلسفة لا تستعمل أي كلمة عربية لهذا المصطلح، إنما يستعملون اللفظ الأجنبي بحروف عربية. لذلك يمكن أن تكون الكلمة العربية المقابلة هي الذاكرة الخيالية، أو ذاكرة الصور الخيالية، على أن نضع بجانبها الكلمة بحروفها الأجنبية. (المؤلف)

** نلاحظ، هنا، أن هناك ترجمتين مختلفتين لكلمة episodic، وهناك من يُطلق عليها أيضاً الذاكرة التمثيلية، الذاكرة الشخصية، التي تسمح بتذكر الأحداث. إن هذا التباين هو أمر مؤسف أيضاً. يمكن أن تكون الترجمة ذاكرة الأحداث أو الأحداث العرضية. (المؤلف)

[4] كريك وكوخ، **مشكلة الوعي**، مجلة العلوم، العدد 3/2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت، 1999، ص 12.

(semantic)، الذاكرة القصيرة المدى، الذاكرة الطويلة المدى، ذاكرة إجرائية (عملية)، صريحة (وقائعية)، لفظية وغير لفظية، ومحددة الفئة.[1]

3. العلاقة بين عمل الذاكرة وأقسامها

هناك قضية خلافية أخرى تتصل بالعلاقة بين عمل أقسام الذاكرة، هي: هل تعمل كأنها كيانٌ واحد، أم تعمل أقسامها بصورة مستقلة؟ يجيب على ذلك، مثلاً، البروفسور الفرنسي مين دوبيران، الذي أكد أنه لا يمكن اعتبار الذاكرة كياناً واحداً. وقد ميز أنماطاً للذاكرة بحيث يشتغل كل شكل باستقلال عن الآخر.[2] لكن هناك وجهة نظر أخرى معاكسة، كما جاء في كتاب الدماغ البشري: وبالرغم من تقسيمات الدماغ إلى أجزاء مختلفة فإن عمله مترابط متكامل بحيث تقوم الحجيرات الدماغية بأعمالها كلٌّ بمعرفة الأخرى ومشورتها وتأثيرها ليخرج كل من الأقوال والأفعال والتدبير بشكل منسق ومنظم وسليم. إذن عمل الحجيرات الدماغية هو عمل جماعي.[3] والرأي ذاته ورد في المعجم الموسوعي في علم النفس: فكل الدماغ معنيٌّ باستدعاء الذكريات، التي لا نعلم أين تحفظ ولا كيف.[4]

ثامناً: مفارقات في الأصول الأجنبية للكلمات المتصلة بالذاكرة

هناك مفارقات وتباين ترتبط بالأصول الاشتقاقية لكلمة memory والكلمات ذات الصلة مثل: memorize و remember و recollection.

1. الأصول الاشتقاقية لكلمة memory

هناك تباين في المصادر الإنكليزية وغيرها، عن الأصل الاشتقاقي لكلمة memory، إذ هناك

---

[1] **المخ البشري**، مصدر سابق، ص 120.

[2] **الذاكرة: أسرارها وآلياتها**، مصدر سابق، ص 18.

[3] طارق ابراهيم حمدي، **الدماغ البشري**، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1980، ص 9.

[4] **المعجم الموسوعي في علم النفس**، مصدر سابق، ص 1128.

فئة ترجعها إلى أصول لاتينية، وأخرى إلى أصول إغريقية. من الفئة الأولى، هناك قاموس أكسفورد "المختصر"، الذي ذكر أن كلمة memory تعود إلى الفرنسية القديمة memoire، التي بدورها تعود إلى اللاتينية memoria. و memor تعني mindful مهتم، منتبه، واعٍ لـ ، وهي من الجذر mer بمعنى يتذكر remember.[1] أما الفئة الثانية، التي ترى أن أصل كلمة memory تعود إلى الإغريق، فيغلب عليها الاختلاف في كتابة هذه الكلمة بالحروف اليونانية. فمثلاً جاء في قاموس ويبستر أن كلمة memory هي من memimi، إذ يمكن أن تكون محرّفة من الكلمة الإغريقية التي تعني يتذكر أو العقل.[2] يؤكد ذلك ما ورد في كتاب الأسطورة والفكر عند اليونان لجان بيار فرنان: يوجد في البانثيون اليوناني آلهة تحمل اسم وظيفة نفسية ذاكرة (منيموسيني) (mnémosuné).[3] إن سبب، تعدد لفظ الذاكرة اليونانية، هو وجود، كلمتين يونانيتين: μνημη = ذكر، μνημοσυνη = ذاكرة. وهما مستعملتان مجازياً كإلهين.[4]

2. كلمة memorize

تتضمن كلمة memorize الإنكليزية مفارقة في معناها وترجمتها إلى اللغة العربية. تتألف هذه الكلمة في الأصل، من مقطعين هما: memory واللاحقة ize، ومعناها commit to memory،[5] أي يسلم أو يودع في الذاكرة. إن اللاحقة ize أو (ise) غرضها تغيير وظيفة الكلمة الأصلية أي memory وتحويلها من اسم إلى فعل، شرط أن يكون الفعل والاسم من مادة واحدة. على هذا الأساس، إذا كانت "memory" تقابل "ذاكرة" في اللغة العربية، فإن كلمة memorize ينبغي أن تكون من مادة الذاكرة، لكن الذي نلاحظه في قواميس الترجمة أنها تقابل: يستظهر،

[1] H.W.F, The Concise Oxford Dictionary, 4th ed, Oxford, 1950, p.744.

[2] Noah Webster, American Dictionary of English Language, vol.1, Converses, New York, 1828, p2750.

[3] جان بيار فرنان، **الأسطورة والفكر عند اليونان**، ترجمة جورج رزق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2012، ص 206.

[4] الأسطورة والفكر عند اليونان، مصدر سابق، ص 241.

[5] The Concise Oxford Dictionary، مصدر سابق، ص 744.

يحفظ عن ظهر قلب،[1] وهي صحيحة من ناحية معناها الإجرائي فحسب، الذي لم يكن خارج نطاق معنى memory، التي معناها بهذه الحالة "حافظة".

3. كلمة remember

ينطوي الأصل الاشتقاقي للكلمة الإنكليزية remember على مفارقة غريبة عجيبة، لأن هذه الكلمة تتألف، من ناحية الشكل الظاهري، من مقطعين الأول: البادئة re ومعناها يعيد، مرة ثانية، وهي صحيحة، أما المقطع الآخر member فهو الذي تقع فيه المفارقة، ومعناه عضو. لذلك يصبح المعنى الحرفي بمقطعيه هو "إعادة العضو" أو نحوه. غير أن هذا لا يتفق مع الترجمة المعروفة لكلمة remember بمعنى يتذكر. لأن المقطع الثاني لم يكن بهذه الصورة في الأصل. إن هذا التحوّل في الشكل له قصة أو تفسير طريف قلما تذكره معاجم اللغة الإنكليزية، لكنها متفقة تقريباً على أصوله الاشتقاقية. إن هذا التحوّل حدث أثناء الغزو النورماندي (الفرنسي) لإنكلترا، وتأثير اللغة الفرنسية في اللغة الإنكليزية. إن الأصل الاشتقاقي لكلمة remember هو باللاتينية القديمة rememor الذي يعني منتبه، واعٍ لـ مهتم (mindful)، هذه الكلمة الأخيرة كما هو واضح لا تحتوي على حرف b، فكيف تحولت إلى remember؟ يبين قاموس مختصر أكسفورد، الأصل الاشتقاقي لكنه لا يذكر كيف جرت إضافة حرف b إلى rememor، فيقول عن كلمة remember الإنكليزية: إنها من الفرنسية القديمة remebrer، ثم من اللاتينية المتأخرة rememorari، ثم من اللاتينية القديمة rememor.[2]

أما قاموس أصول الكلمات الإنكليزية، فيقترب من التوصل إلى سبب تغيّر كلمة remember، فيقول: إن كلمة remember هي من الإنكليزية الوسطى remembren، ثم من الفرنسية القديمة remembrer، التي استعملت بطريقة عكسية، مولداً شيئاً غير طبيعي هوحرف b بعد m، نتيجة الضغط أو النبرة في الكلام، وهي من اللاتينية rememorari التي تتكون من

---

[1] منير البعلبكي، **المورد**، قاموس إنكليزي عربي، ط 31، دار العلم للملايين، بيروت، 1997، ص 570.

[2] The Concise Oxford Dictionary، مصدر سابق، ص 44.

re و memorari ومن ثم memor.[1]

غير أن إيلا هارسون في مقالها الإلكتروني عن كلمة التذكر Word: Remember, Two Ways ترى أن سبب حذف الحرف b في هذه الكلمة هو التلفظ من وسط الأنف مثل mmm، وتورد مثالاً على ذلك كلمة something التي يتلفظها قسم من الناس بشكل somepthing، بوضع الحرف p. هذا الذي حدث مع الكلمة الإنكليزية القديمة remember، وهي الكلمة اللاتينية التي وصلت إلى فرنسا.[2] الحقيقة أن الكاتبة لم تذكر صراحة تأثير اللغة الفرنسية في اللغة الإنكليزية، لكن قاموس أكسفورد الإنكليزي في المقدمة يبين ذلك. فقد جاء فيه: إن استعمال بعض الكلمات الفرنسية في الإنكليزية، كان قد أعطاها طابعاً إنكليزياً كلياً... وقد برزت مشكلة في تلفظ حروف العلة الفرنسية، التي تخرج من الأنف... لذلك فإن المتكلمين بالإنكليزية الأصليين قد استعملوا ألفاظاً مختلفة في مثل هذه الحالات تتراوح بين إعطائها الطابع الإنكليزي كلياً ومحاكاة أو تقليد ناجح للفرنسية لحد ما.[3] وفي الحقيقة إن غزو النورمان الفرنسيين لإنكلترا عام 1066م كان حدثاً محورياً أحدث تحولاً في اللغة والثقافة الإنكليزية حيث امتزجت الفرنسية النورمندية للقرون الوسطى بالإنكليزية. هذا الأمر لم يحدث مع لغات أخرى، منها لغتنا العربية، برغم الغزوات الأجنبية، صحيح دخلت ألفاظٌ غير عربية، لكن اللغة العربية بقيت محافظةً على أصالتها وبلاغتها.

4. مفارقات في معنى كلمة recollection

إن المفارقات، هنا، تقع في تركيب كلمة recollection، ومعناها الأصلي، الذي يختلف عن معنى آخر تنسبه لها معظم قواميس اللغة، سواء في العربية أو غير العربية، الذي يرتبط بالذاكرة والتذكر. إن الاسم recollection وفعله recollect، كل منهما يتألف من مقطعين، كما جاء في

[1] W.W.Skeat, An etymological Dictionary of the English Language, Clarendone, Oxford, 1883, p.500.

[2] Ela Harrison, Word Remember, Two Ways, https://elaharrison.com/blog/item/word-remember.

[3] Oxford Advance Learner's Dictionary، مصدر سابق، ص xxiv.

قاموس مختصر أكسفورد.[1] الأول: re، أما المقطع الآخر: collection أو collect، فيعني جمع، ضم، لمّ (صيغة الاسم)، ويجمع، يضم، يلم (صيغة الفعل). أي إن كلاً منهما نقيض التفريق. لذلك يصبح معنى التركيب الحرفي لكلمة recollection هو إعادة تجميع، ومعنى recollect هو يجمع مرة ثانية (أو نحوهما من المعاني). لكن قواميس اللغة تذكر معنى آخر وظيفيّاً لهما أيضاً، يتصل بالتذكر، كما جاء في قاموس أكسفورد باللغة الإنكليزية:[2] فكلمة recollect تعني: call to mind, succeed in remembering أي يُعاد إلى العقل أو التمكن من التذكر. أما معنى recollection فهو:

1. act or power of recollecting.
2. time over which the memory goes back.
3. something recollect; that which is remembered.

أي فعل الجمع، أو الزمن الذي تستغرقه الذاكرة للعودة إلى السابق، أو إعادة تجميع شيء، أي تذكره. جميع هذه المعاني ترتبط فعلياً بالذاكرة والتذكر. وللتفريق بين المعنى الأصلي، أي يستعيد، يسترجع، يلمّ الشمل، والمعنى العادي، العملي، يتذكر، الذكر، الذاكرة. هناك وجهة نظر، أن توضع **الشـــرطة** – فـي المعنى الأصلي لتصبح re-collect أو re-collection، على حين المعنى العملي يبقى دون شرطة: recollect أو recollection.[3] يتضح، مما سبق، أن هناك تداخلاً وخلطاً بين معنى recollection و recollect من ناحية، ومعنىmemory وremember من ناحية أخرى. وللتفريق بين ذلك نذكر ما جاء في قاموس ويبستر:[4] إن recollect يقتضي – أو يمكن أن يقتضي – جهداً واعياً لاستدعاء شيئٍ ما إلى العقل، مثلاً:

He tried to recollect the name of the street.

على حين remember، يقتضي، بصورة أكثر شمولاً، طلب شيئٍ ما متاحٍ فقط في ذاكرة

---

[1] The Concise Oxford Dictionary، مصدر سابق، ص 1014.

[2] Oxford Advance Learner's Dictionary، مصدر سابق، ص 702.

[3] H.W.Fowler, A Dictionary of Modern English Usage, second ed, Oxford, 1985, p.509.

[4] E.W.Gilman, Webster's Dictionary of English Usage, Merriam-Webster, Springfield, Massachusetts, 1988, p.804.

الشخص. مثلاً:

He always remembered what she had said.

ويبيّن قاموس ويبستر الفرق بين مفهومي memory وrecollection، هو أن memory تحفظ الأفكار الماضية دون أي جهد أو قليلاً من الجهد، بينما recollection تقتضي جهداً لاستدعاء الأفكار الماضية.[1] إذن يمكننا القول إن recollection من وظائفها عملية التذكر، لكن ليس معناها الأصلي.

تاسعاً: مشكلات في ترجمة كلمة memory والكلمات المتصلة بها

يُظهر استعمال كلمة memory وجمعها memories، في قواميس اللغة الإنكليزية، التعدد في معناها، كما ذكرنا ذلك، مثلاً، في قاموس أكسفورد: قوة للحفظ والاستدعاء (ذكرناها سابقاً)، المدة التي تمتد إليها الذاكرة، الشيء الذي خُزن في الذاكرة ويمكن تذكّره، الصيت أو السمعة بعد الموت.[2] هذا التعدد قد يولّد خلطاً والتباساً، أوضح قسماً منه برتراند راسل في كتابه حكمة الغرب بقوله: هناك خلط ينشأ عن المعنى المزدوج الذي يُنسب إلى كلمة "الذاكرة"، إذ نعني بالذاكرة أحياناً النشاط العقلي المتعلق بالتذكر، هنا وفي الوقت الراهن، ونعني به أحياناً أخرى الحدث الماضي الذي يتم تذكره على هذا النحو. وهكذا فإن الخلط بين النشاط الذهني وموضوعه يؤدي إلى الكلام عن الماضي والحاضر وكأنهما ممتزجان.[3] أي إن أحد معاني هذه الكلمة هو "التذكر"، والآخر هو "الذكرى" أو "الذكريات" بصيغة الجمع. إن هذا التعدد في معنى memory ينطبق أيضاً في ترجمة هذه الكلمة إلى اللغة العربية، مما يسبب في أحيان كثيرة، مشكلاتٍ وتداخلاً في معناها، كما ورد، مثلاً، في قاموس المورد، إذ إن هناك أربعة معانٍ لهذه الكلمة هي،

---

[1] المصدر السابق، ص 2750.

[2] Oxford Advance Learner's Dictionary، مصدر سابق، ص 530.

[3] برتراند راسل، **حكمة الغرب**، ج 2، ط 2، ترجمة فؤاد زكريا، عالم المعرفة، ع 365، المجلس الوطني ، الكويت، 2009، ص 235.

الأول: التذكر والذاكرة. الثاني: ذكرى. الثالث: إحياء لذكرى. الرابع: مدى أو نطاق الذاكرة.[1] وفي قاموس القارئ نجد ثلاثة معانٍ الأول: الذاكرة، حافظة، تذكر. الثاني: المدة التي تمتد إليها الذاكرة. الثالث إحياء لذكرى.[2] وفي كشّاف اصطلاحات الفنون، وضع المحقق كلمة الحافظة مقابلاً لكلمة memory.[3] وفي قاموس إلياس، كلمة memory تعني حافظة، ذاكرة.[4] على هذا الأساس تكون ترجمة كلمة memory إلى اللغة العربية، ذاكرة، ذكرى، ذكر، تذكر، حافظة، الصيت والثناء، يستظهر، إلخ. أما صيغة الجمع أي memories، فترجمتها ذواكر، ذاكرات، ذكريات. لذلك سنسرد عبارات من اللغة الإنكليزية تبين التعدد في ترجمة memory وmemories، كأمثلة على هذه المعاني، التي يمكن تصنيفها إلى عدد من الفئات. الفئة الأولى، كلمة memory ترجمتها "ذاكرة" بصيغة المفرد، وmemories بصيغة الجمع، ترجمتها ذواكر، كالآتي:

- Bad spellers have a weak visual memory.
- All the members of John's family have excellent memories.

الفئة الثانية، كلمة memory تقابلها في اللغة العربية، ذكرى، وmemories تقابلها ذكريات:

- He planted some apple trees in memory of his wife.
- All of my memories are happy tonight.

الفئة الثالثة، تترجمmemory إلى أتذكر:

- to the best of my memory.

أو إلى يستظهر، أو يحفظ عن ظهر قلب:[5،6]

---

[1] **المورد**، مصدر سابق، ص 570.

[2] العزبي وآخرون، **قاموس القارئ**، دار جامعة أكسفورد، أكسفورد، 1980، ص 427.

[3] **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، مصدر سابق، ص 610.

[4] إلياس أنطون إلياس وإدوارد إلياس، **قاموس إلياس العصري**، دار الجيل، بيروت، 1979، ص 156.

[5] **قاموس القارئ**، مصدر سابق، ص 129.

[6] **المورد**، مصدر سابق، ص 197.

- commit to memory.
- speaking from memory.

الفئة الرابعة، memory يقابلها "الذكر":

- The late king, of blessed memory.
- King George of happy memory.

الخلاصة

إن استحداث لفظ "الذاكرة" من داخل اللغة العربية، هو دليل على قوة هذه اللغة وحيويتها ونموها، لكن هذا الاستحداث حصل عن طريق التحوّل المعنوي، باكتساب هذا اللفظ معنىً جديداً غير معناه الأصلي، قد يكون نتيجة قصور في التقدير. إن هذا التحوّل كانت له تبعات اتسمت بتباين واختلاف وتعدد في تعريف "الذاكرة"، من ناحية، ومن ناحية أخرى خلط وتداخل مع مفهومي الحفظ والتذكر، فضلاً على حدوث صعوبات في ترجمة الكلمة الأجنبية memory إلى العربية. مع ذلك فإن الباحثين، من العصر الحديث، اعتمدوا لفظ "الذاكرة" بمعناها الجديد، واعتبروها ضرورة لا غنى عنها، وأصبحت المعاجم المعاصرة تقرّها. لكننا، في الختام، نعتبر الذاكرة بناءً افتراضياً، ليس مرادفاً للدماغ، ولا بديلاً عنه، كما لا ندعو إلى إبطال هذا اللفظ، إنما ينبغي تأكيد معناه الأصلي، ووجوده المجازي الرمزي، لأن جميع العمليات العقلية تعتمد على ما يجري في الدماغ بصورة متكاملة.